



إنَّ المتأمِّلَ في عظمةِ هَذَا الدِّينِ، وجوابِ الإعجازِ الَّتِي تأخذُ بِالألْبَابِ، وَتُبَهِّرُ الْعُقُولَ، فِي كُلِّ جوابِهِ التَّشْرِيعِيَّةِ وَالْعِبَادِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْوِجْدَانِيَّةِ، لَيَدْرُكُ بِأَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ، وَهَذَا الدِّينُ جَاءَ بِكُلِّ مَا يُوَافِقُ الْفِطْرَةَ، وَمَا يُوَافِقُ الْعُقُولَ، وَقَدْ تَحَدَّى عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ بِأَنَّ يَأْتِي أَحَدٌ عَلَى أَيِّ حُكْمٍ أَوْ تَشْرِيعٍ مِّنْ تَشْرِيعَاتِ الْإِسْلَامِ بِالثَّلْبِ وَالْعِيبِ مِنْ جَانِبِ مَنْاقِضِهِ لِلْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ.

عموماً: فإنَّ هَذِهِ مَقْدَمَةٌ لِمَا أُرِيدُ الْحَدِيثُ عَنْهُ، وَهُوَ جُزْءٌ مِّنْ عَظَمَةِ هَذَا الدِّينِ وَإِعْجَازِهِ، وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا، تَطَرَّقَ إِلَيْهِ بشَيْءٍ مِّنَ الْبَسْطِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّرْكِيزِ، وَأَتَمَّنَى لَوْ تَكُونَ هَذِهِ فِكْرَةً لِأَطْرَوْحَةٍ بِحْثِيَّةٍ، تُقدَّمُ بِشَكْلٍ مُوسَعٍ، أَوْ بِحَثٍ أَكَادِيمِيٍّ، يُقْدَمُ لِنَيلِ درجةِ الْمَاجِسْتِيرِ، أَوِ الدُّكْتُورَاَتِ فِي جَامِعَاتِنَا (الْعَرِيقَةِ)!!

وَمُلْخِصُ الْفَكْرَةِ: أَنَّ مِنْ جوابِ الإعجازِ فِي هَذَا الدِّينِ، أَنَّ أَصْوَلَهُ الْكُلِّيَّةِ وَتَشْرِيعَاتِهِ، أَحْكَمَتْ بِحِيثُ لَا يُسْتَطِيعُ أَحَدٌ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ، وَتَبَاعِدُ الدِّيَارِ وَالْمَكَانِ، مِهْما أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ مَادِيَّةٍ أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ أَنْ يُزَعِّزَ أَوْ يُشَكِّكَ الْمُسْلِمِينَ حَوْلَ أَصْوَلِهِ الْعَظِيمِيَّةِ، وَكُلِّيَّاتِهِ الْمُحَكَّمَةِ.

وَمِنْهَا ضَعْفَ مَفْهُومِ الْإِسْلَامِ عَنَّ الْمُسْلِمِينَ، تَبْقِي هَذِهِ الْأَصْوَلُ أَبِيَّةَ عَصِيَّةَ عَلَى التَّغْيِيرِ؛ لَوْضُوحِهَا وَسَهْوَلَتِهَا وَقُوَّتِهَا وَتَجَدُّرِهَا فِي النُّفُوسِ وَالْعُقُولِ لِدِي الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا يُفسِّرُ قُوَّةَ اِنْتَشَارِ الْإِسْلَامِ، وَثَبَاتِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَيَأْسِ أَعْدَاءِ الدِّينِ مِنْ زَحْزَحةِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِينِهِمْ، أَوْ إِبْعَادِهِمْ عَنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ.

يقول مراد هووفمان في كتابه: (الإسلام كما يراه ألماني مسلم) ص20 - 21: "... على أية حال فإن هذا الدين الذي قام على أساس ديمقراطية يتمسك دائمًا بتشبث عجيب بمبدئه القائم على وحدانية الله وبكتابه (القرآن الكريم) ونبيه (الرسول الكريم

صلى الله عليه وسلم)، وبرهن بذلك على قدرة تكاملية غير عادية. وهذا منح الإسلام القدرة على تجاوز سنوات طويلة من الملاحة، وعلى تجديد نفسه بنفسه دائمًا وأبدًا، وبذلك لم تكن هناك أبداً أزمة انتماء في الإسلام، وحتى في عصرنا هذا يبدي لنا هذه المعالم القديمة الواضحة.

هذه المعالجة متماثلة - على الرغم من غناها - بالحقائق ويمكنها أن تفتح الباب - ولو قليلاً - على الإسلام.

إن معالجة كهذه لا تدعى أساليب البحث العلمي، لكنها يجب أن تكون موثوقة دون خصوصها للتحليل، ويمكن للقارئ أن يرکن إلى حقيقة أن عرض الإسلام بهذا الأسلوب يتوافق مع العقيدة التي تلتزم بها الأكثريّة الساحقة من المسلمين في كل أنحاء العالم (أهـ).

بل الأعجب من هذا من تأمل واقع الحرب على الإسلام فكل من أراد النيل من الإسلام وأصوله الكبرى عاد عليه بالنقيض فانتقضت الأمة واستيقظت من غفلتها وهبوا لنصرة دينهم مع أن كثيراً من المسلمين يكون بعيداً في واقعه عن روح الإسلام الصحيح، وهذا والله التحدى، ولعل الشواهد التي سمعناها لما قام الرسام الدنماركي بالسخرية بالنبي صلى الله عليه وسلم، تمنى الأعداء أنهم ما ارتكبوا هذه الحماقة، وكذلك قل ما يفعل من هجوم غبي لا يدرك طبيعة هذا الدين وتتجذره في نفوس المسلمين ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

ومن القضايا الكلية التي كانت بتقدير العليم الحكيم سبباً من أسباب استعصاء الإسلام على كل الهجمات التي وجهت له عبر العصور ما يلي:

أولاً: القرآن الكريم:

القرآن الكريم: هو أصل من الأصول الذي تجتمع عليه الأمة، ولا يستطيع لا الملحد المعلم، ولا المستتر أن يُشكّك الناس فيه، أو يُغيّر عقيدتهم تجاهه، وأنه ليس من عند الله، وسر هذه القدسية والمكانة حتى عند غير المسلمين: أن القرآن الكريم يظهر لكل من قرأه وتأمله وعرفه حق المعرفة، أنه ليس بكلام بشر، بل هو كلام إلهي، وبطبيعة الحال يؤدي للاعتراف بصدق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وبصدق رسالته والإيمان الذي جاء به، فسر القدسية تعود إلى عدد من الأمور:

أولاً: القرآن محفوظ من التغيير والتبدل مع تغير الأزمان والأماكن والأشخاص، وكل محاولة لتغييره وتبديلها، تبوء بالفشل الذريع، ويلحق صاحبها الخزي والعار؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

ثانياً: أن القرآن لا يستطيع أحد كائناً من كان ولو كان من أذكياء العالم وأركانه في العقل والمعرفة أن يأتي بمثله أو يعيش سورة منه أو بسورة منه، وحتى بآية، وهذا التحدى قائم منذ أن نزل القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً وإلى يومنا هذا وسيظل قائماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ مما يزيد قناعة الناس بهذا الدين، وبهذا القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونُونَ وَالْجِنُونَ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوَا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]. وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوَا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَّاتٍ وَادْعُوْا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: 13]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأَتُوَا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوْا شُهَدَاءِكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23].

فهذا مسلمة الكذاب لما حاول أن يتطاول، فادعى النبوة، وزعم كذباً وزراً أنه يُوحى إليه، أصبح يُوصم بالكذب على تعاقب الدهور والأزمان، ثم أخزاه الله وأهانه يوم اليمامة، حيث مات شر ميتة، يقول الحافظ ابن كثير - رحمة الله - : "وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **بینا أنا نائم رأیت كأنه وضع في يدي سواران**

فقطعهما، فأوحى إلى في المنام: أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان، صاحب صنعة، وصاحب اليمامة، وقد تقدم في الوفود أنه قال لمسيلمة حين قدم مع قومه وجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، فوقف عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: والله لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتك، ولئن أدرت ليعرنك الله، وإنني لأراك الذي أربت فيه ما أربت، وهكذا وقع، عقره الله وأهانه وكسره وغلبه يوم اليمامة" "البداية والنهاية": (20/444).

أما أدعاؤه النبوة، وأنه يُوحى إليه، ففي هذا الشأن يقول الحافظ ابنُ كثير - رحمة الله - : "ولما قدمت وفود بنى حنيفة على الصديق قال لهم: أسمعونا من قرآن مسليمة، فقالوا: أو تعفينا يا خليفة رسول الله؟ فقال: لا بد من ذلك، فقالوا: كان يقول: يا ضفدع بنت الضفدعين نقى لكم تنقين، لا الماء تكررين ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء، وذنبك في الطين، وكان يقول: والميذرات زرعا، والحاقدات حصدا، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخاذلات خبزا، والثاردات ثردا، واللائمات لقما، إهالة وسمنا، لقد فضلت على أهل الوير، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعواه، والمعتر فآووه، والناعي فواسوه، وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأنف من قولها الصبيان وهم يلعبون، فيقال: إن الصديق قال لهم: ويحكم، أين كان يذهب بعقولكم؟ إن هذا الكلام لم يخرج منْ أَل [يعني: من ربِّ]، وكان يقول: والفيل وما أدرك ما الفيل، له زلوم طويل، وكان يقول: وللليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسد من رطب ولا ياس، وتقدم قوله: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى، وأشياء من هذا الكلام السخيف الركيك البارد السميّج أ.هـ [البداية والنهاية": (6/359)].

رابطة علماء المسلمين

المصادر: